القسم الثانى

أمريكا ليست بريئة

obeikan.com

obeikan.com

أمريكا تبحث عمن يُحارب إيران (نيابة عنها!)

كلنا يذكر أن "قوة" "ومنعة" الولايات المتحدة لم تأت لأن شعبها هو (الأفضل)، وعقلها هو (الأذكى)، وإنما جاء من الزج بالآخرين فى الحروب، ليكونوا مدافعين عنها بينما تظل – هي- بعيدة، تحتفظ بقوتها دون نقصان! حدث ذلك- بشكل واضح- فى الحرب العالمية الثانية عندما تدثرت بإمكانياتها الذاتية واستغلت وجودها الجغرافى البعيد نسبيا عن آتون الحرب فى قلب أوروبا..

ولذلك تذكر كتب التاريخ أن ألمانيا النازية قد تحطمت، واليابان قد تزعزعت، وباريس قد سقطت مهزومة.. بينما لم يصب أمريكا سوى أشياء صغيرة أشبه بالندوب والكدمات..

أريد أن أقول: إن قادة أمريكا قد فهموا هذا الدرس من وقائع التاريخ (القديمة والجديدة)، ولذلك يلجؤون إليه فى وقت الأزمات..

فحاليا- على سبيل المثال- لا تفكر أمريكا إلا فى شيء واحد هو أن تبحث عمن توكل إليه بمسؤولية أن يحارب- نيابة عنها- ضد إيران.. وعمن يصمد – نيابة عنها- فى وجه المقاومة العراقية أو من تسميهم هى بالإرهابيين..

نعم- هذا هو الشغل الشاغل للولايات المتحدة، ولقد اعترف الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش بذلك- قبل أن تجبره المقاومة العراقية على أن يخلع ورقة التوت الأخيرة التى يستر بها عورته فى بلاد الرافدين فها هو عندما يُلقى بمسؤولية دعمه فى العراق على دول مثل مصر والسعودية والأردن، إنما يحيى من جديد سياسة (الحرب بالوكالة) التى تبرع فيها أمريكا منذ زمن..

وعندما يهدد هذه الدول بأنها إذا لم تسارع فى إنقاذ أمريكا من المستنقع العراقى الذى أوقعت نفسها فيه، فإن الإرهاب سوف تنتشر بؤرة بما يهدد بقاء النظم الحاكمة فى مصر والسعودية والأردن ودول الخليج.. أقول: إن هذا التهديد يعكس حالة التوتر القصوى التى تعيشها أمريكا اليوم، وبصرف النظر عن جديد هذا التهديد (من عدمه) فالثابت أن أسنان جورج دبليو بوش تصطك من شدة الهلع من هزائم أخرى قد تطيح به وبرفاق الدرب من المحافظين الجدد الذين حولوا العالم- كل العالم- إلى دار حرب!!

ويبدو أن واشنطن قد ضمّنت إستراتيجيتها الجديدة فى العراق فى ٢٠٠٧ خطة تصعيد موازية مع إيران على أن تتولى (دول فى المنطقة) مسؤولية المواجهة نيابة عن أمريكا.. وإلا فما معنى أن تداهم قوات أمريكية مكتبًا تابعًا للقنصلية الإيرانية فى مدينة أربيل الواقعة فى شمال العراق وتلقى القبض على خمسة(؟؟؟)!

وقبل ذلك بأقل من شهر من هذا التاريخ كانت القوات الأمريكية قد ألقت القبض على أربعة إيرانيين كانوا فى زيارة للرئيس العراقى طالبانى بناء على دعوة رسمية منه!!

وفى منتصف ديسمبر- كانت القوات الأمريكية قد اعتقلت عددًا من ضباط المخابرات الإيرانية وزعمت أنه يشتبه فى أنهم خططوا لهجمات على قوات الأمن العراقية..؟!

هذه علامات استفهام ضرورية لا مناص من طرحها..

خصوصًا أن آخر هذه المداهمات جاءت بعد سويعات من إذاعة خطاب الرئيس جورج دبليو بوش الذى تحث عن إيران وسوريا واتهمهما بأنهما يدعمان الإرهاب فى العراق.. وزعم أن منطقة (الأنبار) قد أصبحت قاعدة لإمبراطورية إسلامية راديكالية يسكنها بن لادن وأعوانه، والدعم يأتيهم غزيرا من طهران!!

وهنا تكتسب تصريحات وزير الخارجية المصرى أهمية خاصة فى هذا التوقيت خصوصًا أنه نفى وجود أية ضغوط أمريكية لتشكيل محور سنى يضم مصر والسعودية وتركيا لمواجهة النفوذ الشيعى الإيرانى فى المنطقة.. وقد يكون الصحيح أن نقول- فى ضوء محاولة أمريكا تجييش المنطقة ضد إيران وفق نظرية الحرب بالوكالة- إن أمريكا تحاول الضغط بشتى الطرق لضمان الدعم لها- لكن دول المنطقة ترفض ذلك رفضا قاطعا وكما قال- حقا- إن العلاقات المصرية مع البلدين قوية – فى ذلك الوقت – فى إطار العلاقات الثنائية، ومن ثم فلا معنى للقول بأن هناك محورًا سنيًا سوف ينشأ لمواجهة المحور الشيعي..

ليس من شك فى أن مصر أكثر ذكاء من أن يعتقد البعض أنها يمكن أن تبتلع الطعم الأمريكى وتنوب عن أمريكا فى حرب ضد إيران، أو فى حرب ضد المقاومة فى العراق.. وقد يكون الصحيح أن نذكر أن مصر قد حذرت أمريكا مرارا وتكرارا من الغرق فى المستنقع العراقي.. كان ذلك فى رسائل سريعة لم يفهمها الرئيس الأمريكى ولعل آخر رسالة كانت قبيل إعدام صدام حسين وكانت تحمل تحذيرا من تداعيات هذا الحدث، الذى آثار استياء العرب والمسلمين لتزامنه مع ساعات النحر فى عيد الأضحى.. لكن أمريكا لم ترتدع!

فكيف تصر الإدارة الأمريكية على الانزلاق فى هذه المنخفضات ثم تطلب- – فى غطرسة – من دول مثل مصر أن تدعمها وإلا فالإرهاب سوف تتسع دوائره ويهدد أمنها واستقرارها!

وكأن الخيار الأمريكى هو: إما أن تدعم مصر أمريكا فى حربها ضد العراق وإيران وإما أن يستهدفها الإرهاب!

إنه خيار خاطئ ولا مبرر له لأن أمريكا- بحسب استطلاعات الرأى فى المنطقة والعالم هى رأس الشر- وحاضنة الإرهاب، ولا مقصد لها سوى إشعال المنطقة بالحروب لكى يحترق الأخضر واليابس فيها.. بينما تظل (هي) بعيدة لا ينالها سوء كما كان الحال إبان الحرب العالمية الثانية! إنه ديدن السياسة الأمريكية لا جدال.

وللإنصاف يجب أن نذكر أن الفضاءات السياسية مكتظة بالعداوات بين إيران وأمريكا، وليس هكذا الحال بالنسبة للفضاءات السياسية بين مصر وإيران.. ومن ثم فلا مصلحة لمصر فى أن نشتبك مع إيران..

وإذا كان الملف النووى الإيرانى قد أحدث (تماسًا) من نوع ما مع مصر. فالمحقق أن لمصر موقفا ثابتا ينطلق من دعوتها لأن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل.. والمعنى المقصود هنا هو أن تكف إيران عن محاولة الإنفراد بالسلاح النووى وكذلك إسرائيل التى اعترف رئيس حكومتها بأن بلادة تمتلك سلاحًا نوويا. كما تذكر الأرقام أن إسرائيل تملك حوالى ٢٠٠ رأس نووية!

وعندما قال الرئيس مبارك مؤخرا: إن مصر لن تقف تتفرج بينما دول أخرى تتبارى فى امتلاك السلاح النووى كان يقصد إيران وإسرائيل معًا..

المهم أن لا عداء بين مصر ودول المنطقة ومنها إيران لكن رصيد العداء الأمريكى لدى إيران كبير ومتسع فأرث الكراهية القديمة الذى تختزنه الذاكرة الأمريكية يرجع إلى حادث اتخاذ موظفى السفارة الأمريكية فى طهران رهائن أواخر السبعينيات لعدة أشهر.. شعرت فيها أمريكا بالمهانة والإذلال.. كما أن لطهران امتدادات وتأثيرات فى لبنان بيد حزب الله، والعراق بيد الشيعة، والأراضى الفلسطينية بيد حماس والجهاد..

ناهيك عن التصريحات الرنانة التى يطلقها الرئيس الإيرانى وقتئذ أحمدى نجاد، وتستخف منها بالدولة العظمى ويصر على مواصلة جهوده لامتلاك التكنولوجيا النووية السلمية..

وعندما تقول كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية وقتها إن إيران هى العقبة التى تقف فى طريق مخططات أمريكا فى منطقة الشرق الأوسط.. ففى هذا الكلام وحده أكبر مبرر لمنحنى الكراهية المتصاعد دائمًا ضد إيران..

بكلمة أخرى: إن مصر لا تقبل إرسال أية قوات عسكرية خارج حدودها، وترفض أن يزج بها فى (حرب بالوكالة) عن أمريكا أو أى دولة أخرى..

وعلاقتها بإيران لا يمكن أن تتأثر بضغوط أمريكية أو غير أمريكية، ولا صحة لما يقال عن تأسيس محور سنى ليواجه المحور الشيعي..

ولئن كانت أمريكا قد شعرت بالهزائم فى العراق تنهال فوق رأسها، والرمال المتحركة تنداح تحت قدميها، فهذا ما قدمته يداها، وعليها أن تجنى الثمار الفجة لما زرعته بغطرستها المقيتة..

فمصر لن تحارب من أجل أحد. وأوهام المحور السنى والمحور الشيعى لا وجود لها إلا فى عقل أمريكا المريض أو هكذا ينبغى أن يكون!

obeikan.com

فوبيا إيران: حقائق وأوهام

أشهد أننى أكاد أرى (بعينى رأسي) أن دوائر الخوف من إيران تتسع يوما بعد يوم فى المنطقة العربية، دون أدنى سبب واضح اللهم إلا إشعال نار الفتنة،والزج بالمنطقة- كل المنطقة- إلى حالة من عدم 'لاستقرار والشعور الدائم بعدم الأمان.

اللافت للنظر أن الطرف الأصيل فى هذا العداء مع إيران هو الولايات المتحدة، وليس المنطقة العربية، لكن كما هو (ديدن) السياسة الأمريكية، فهى تتعمد الاختفاء وراء مثل هذه الخصومات التى تفتعلها بهدف أن تتولى بعض الدول العربية (الحرب بالوكالة) عن أمريكا.

فتسرف فى الحديث مثلا عن تضخم دور إيران الإقليمى لتنزعج مصر، وتشعر بالخطر يّهدد دورها كدولة رائدة تحتل تاريخيا دور الزعامة العربية.. ثم تعمد إلى النفخ- مجددا- فى الخلاف الإماراتي- الإيرانى بشأن الجزر الثلاث (طنب الصغرى، وطنب الكبرى، وجزيرة حميش) فتمتلئ سماء الخليج بالخلافات و لتحرشات، وتعود الميديا تتحدث عن الفرس، والعرب، والشعبوبة إلى آخر هذه النعرات التى ذاقت الدول الإسلامية منها الآمرين عبر تاريخها الطويل.

وفى إطار حملتها المنظمة لتسميم الأجواء العربية- الإيرانية تثير أمريكا- مع سبق الإصرار والترصد- قضية الأمن القومى الخليجى وما يمثله امتلاك إيران لسلاحا نوويا من مخاطر ومحاذير إلى حد أن بعض الدول الخليجية قد أصدرت تصريحات تعبر عن هذا القلق الذى نجحت طهران فى إزالة بعضه من خلال زيارات لكبار مسؤوليها استهدفت طمأنة هذه الدول بشكل تام. لكن لا أحد ينكر أن النتوس لا يزال بها (أشياء) خصوصا فى ضوء التحريض الأمريكى غير البريء ضد إيران

وملفها النووى ومعلوم أن طهران قد بح صوتها من كثرة تأكيد حقها كدولة مستقلة ذات سيادة فى أن تقوم بتطوير التكنولوجيا النووية واستخدامها استخداما سلميا.. ولمزيد من إبداء حُسن النوايا فتحت أبواب مفاعلاتها أمام المفتشين الدوليين دون استثناء، وقدمت إجابات شافية عن كل الاستفسارات، لكن أمريكا فى إطار النفخ فى نيران الخوف (أو الفوبيا) من إيران لم تصغ إلى ذلك وأصرت على اتهام إيران بالعقوق والنكران، ومن ثم يتعين عقابها!

ما أود أن أشدد عليه هو أنه لا مصلحة للمنطقة العربية فى الصدام مع إيران، فضلا عن أن أى خلاف يمكن تسويته سلميا مع هذه الدولة التى لا يختلف اثنان حولها: فهى قوة إقليمية ذات شأن ويمكن أن تكون دعما (لا خصما) للدول العربية.

وعلى الطرف الآخر، يمكن أن نرصد أكثر من سبب لعداء تراثى بين أمريكا وإيران يعود بجذوره إلى أكثر من ربع قرن وتحديدا منذ أزمة الرهائن فى السفارة الأمريكية فى طهران والتى هبطت بأنف أمريكا إلى الأرض!

ثم هناك امتدادات إيران الشيعية فى العراق، ولبنان، ولم يعد خافيا أن استقرار الأوضاع فى هاتين الدولتين يجب أن يمر- بشكل ما- من خلال طهران

ولا يجب ننسى أن إيران هى الحليف القريب لسوريا وتعتبرهما واشنطن حاليا- ضمن محور الشر.. ومما يذكى نيران العداوة أن إيران التى كانت فى زمن الشاه منطقة نفوذ أمريكية باتت محرمة اليوم على كل ما هو أمريكي.

أريد أن أقول إن الخصومة الحقيقية لا وجود لها إلا بين أمريكا وإيران، بمعنى أن المنطقة العربية لا ناقة لها ولا جمل فى أى خلاف مع إيران لكن واشنطن تضع الغشاوة على عيوننا لنرى فى إيران (العدو الأكبر) الذى يهدد الأمن العربى القومي.

وهي- بلا شك- ستكون المستفيد الأكبر من ذلك: فتربح المليارات من بيع السلاح لبعض الدول العربية، تحسبا لهجوم إيرانى متوقع.. وبدعوى "الخطر الفارسي" والمثلث الشيعى المرتقب" تزج بالمنطقة إلى أتون حرب لا تُبقى ولا تذر.

بكلمة أخيرة.. تسعى أمريكا إلى "أبلسة" إيران وتجييش المنطقة العربية (خصوصا الخليجية) ضدها لتخوض حربا بالوكالة عن أحفاد العم سام.. ويخرج منها (أبناء يعرب) بخفي حنين بعد أن يكونوا قد خسروا الأرض، والنفط، وتحولت بلادهم إلى قواعد أمريكية من المحيط إلى الخليج.

إن فوبيا إيران (أي الخوف المرض وغير المبرر من إيران)، هو فخ أمريكي ماكر.. ليتنا ننتبه إليه قبل فوات الآوان.

obeikan.com

فى بيتنا متأمرك!

يبدو أن الهوى الأمريكى "غلاب" إلى حد تصعب مقاومته، فلقد انتشر المتأمركون بيننا "كالفطريات" وأصبحوا يسدون علينا كل المنافذ وألسنتهم كلهم ليل نهار بأكاذيب وترهات واشنطن التى تخفى بها- أو هكذا تظن- أطماعها ومخططاتها الاستعمارية.

أخطر ما فى هذا الأمر أن الخطر القادم من سموم هؤلاء المتآمركين الأشاوس "أصبح أكثر كارثية" من الخطر القادم من الأمريكيين أنفسهم، ليس فقط لأن المتأمركين من أبناء جلدتنا، ويعيشون بين ظهرانينا ولكن أيضا- وهذا هو الأهم- يتموقعون فى أماكن جد حساسة ومؤثرة سواء فى مراكز الأبحاث أو وسائل الميديا (بمختلف أنواعها) أو الجامعات، وهم مترابطون إلى حد يُذكر بأعضاء المحافل الماسونية، يمهدون لبعضهم البعض فى شغل المواقع، وعقد الندوات، والكتابة فى الصحف، والإطلال بشكل منتظم عبر المرئيات..

وهذا الحال ليس امتنانا على الحقيقة أو تزيد عليها إنما هو واقع يلمسه كل ذى عينين وحمل على عنقه رأسا يفكر.

ولقد اعترفت قيادات أمريكية بارزة بأن من مهامهم تجنيد هؤلاء "المتأمركين" (المشتاقين للسلطة والمال) لخدمة المخططات الأمريكية، فها هو دونالد رامسفيلد وزير الدفاع والصقر الجارح فى الإدارة الأمريكية يعترف بأنه أنشأ وحدة أطلق عليها اسم "وحدة التحليل الاستراتيجي" تابعة لرئاسته مباشرة فى النبتاجون مهمتها تجنيد كتاب وصحفيين ورجال سياسة، وزعماء أحزاب، وباحثين، وأكاديميين للترويج للقيم الأمريكية، وتبييض وجه أمريكا (الكالح) والدفاع عن سياساتها

الاستعمارية تارة باسم الحرية (والحرية منها براء)، وتارة أخرى باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان.. بينما الحقائق التى تفقأ العيون تكشف أن الديمقراطية التى تتحدث عنها واشنطن هى ديمقراطية زائفة ومشبعة بدماء الأبرياء (وضحايا العراق وأفغانستان أكبر مثال على ذلك) أما حقوق الإنسان التى تتشدق بها أمريكا (والمتأمركون رضى الله عنهم وأرضاهم!) فهى قصص ترويها جدران أبو غريب (فى العراق) وجوانتانامو (فى كوبا)

ويذكر رامسفيلد فى كتاب فرنسى بعنوان: "١١ سبتمبر صناعة أمريكية" أن هؤلاء المتأمركين ينقاضون مقابل ذلك رواتب ثابتة يحصلون عليها إما بشكل ثابت شهريا أو عن طريق تقديم "منح" "وبعثات" يسافر فيها المتأمركون إلى "الجنة" أقصد إلى أمريكا ليتم تدريبهم تدريبا ذكيا على المهام التى سيكلفون بها لاحقا..

وأذكر أن أحد كبار كوادر المتأمركين مهمته أن يجمع بين وقت وآخر شبابا من الصحفيين المبتدئين لينفخ فيهم من روحه (المترعة) بحب أسياده الأمريكان، ويظل لساعات طوال يتحدث ويكرر كالببغاء أن أمريكا بلد الحريات، والتسامح، وأن وجهها ناصع البياض، وليس (ملطخًا) بدماء، أو (مشوها) بأكاذيب على نحو ما يصور البعض فى بلادنا..

واعترف المسؤول عن دبلوماسية العلاقات العامة ويدعى إدوارد جيرجيان الذى ينفق من ميزانية قدرها ٦٠٠ مليون دولار أن دوره هو عمل تنظيم من كتاب وأدباء ومفكرى منطقة الشرق الأوسط يقوم بتسويق صورة أمريكا وتنقيتها من الشوائب التى غلقت بها..

والتركيز على القيم المشتركة "فى ترويج صورة أمريكا المتسامحة بهدف استمالة عقول وقلوب العرب والمسلمين.

وأكد جيرجيان أن جزءًا أساسيًا من دوره هو إتاحة الفرصة للمتأمركين ويقصد بهم (الكتاب المتعاطفين مع التوجهات الأمريكية) للظهور فى وسائل الميديا لشرح

وتبرير السياسات الأمريكية..

والمعروف أن هذا الـ"جيرجيان" كان يعمل فى السابق سفيرًا لدى سوريا وإسرائيل ، وكان أبدى دهشته فى وقت سابق- من قوة المحطات الفضائية العربية وانعدام الرؤية الأمريكية فيها..!

الغريب أن المتأمركين (من أبناء جلدتنا) أصبحوا- بتأثير الدولارات بالطبع- ملكيين أكثر من الملك، فهم يصلون ليل نهار فى محراب السياسة الأمريكية، وجعلوا من أنفسهم "رأس حربة" فى يد الأمريكان، يحاصرون كل من يختلف معهم فى الرأي، ويتآمرون على تهميشه وتطبيق الخناق عليه، ولم لا وهم يسيطرون على مساحة كبيرة فى الميديا، ومراكز الأبحاث.. ويشدون بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص فتجدهم يتنادون لعقد الندوات فى هذا المحفل أو ذاك، وتفتح الصحف المختلفة فتجدهم قد اعتلوا منابرها رافضين عقيدتهم بدعاوى "الواقعية السياسية!" متهمين كل من لا ينسج على منوالهم" بالغيبوبة السياسية!"

ويزعمون أنه لا يعترض على الأمركة سوى المجانين ويضعونهم فى قفص اتهام جديد- يتناسب مع المرحلة- فيقولون: إنهم شيوعيون جدد! فى محاولة بائسة لإلباس الوطنيين المخلصين قميص الشيوعية بكل ما تعنيه من عيوب ومثالب..

الخطر الداهم يا قوم يسكن بيننا، ويتخفى فى خاصرتنا إنهم المتأمركون الأشرار الذين يصدق عليهم القول المأثور : اللهم احمنى من أصدقائي.. أما أعدائى فأنا كفيل بهم!!

أمريكا ليست بريئة

فى مايو ٢٠٠٩ طردت بروكسل اثنين من الدبلوماسيين الروس من أراضيها بتهمة التجسس على حلف الناتو وتوعدت موسكو بالرد المؤلم على ذلك.. وفى ظنى أن مسألة التجسس التى تتذرع بها أوروبا لا تقوم على أساس صحيح خصوصا أن التقنيات الحديثة قد نالت كثيرا من مسألة التجسس فالمعلومات متوافرة فى كل مكان ولم يعد صعبا الحصول عليها حتى المعلومات العسكرية وكلنا يعرف أن ثورة الإنترنت قد أحدثت زلزالا فى هذا الاتجاه، وبالتالى فالحديث عن "التجسس" كما هو الحال بين الناتو- وأوروبا من ناحية، وروسيا من ناحية أخرى يعكس واقعا آخر وهذا هو الأهم، وهو أن العلاقات بين أمريكا وأوروبا أولا ثم روسيا ثانيا ليست فى صحة جيدة...

وكلنا يذكر حرب روسيا على جورجيا بل والقلاقل التى تثور- كالبركان فى جورجيا كانت فى جانب منها ردا روسيا على محاولات جورجيا والدول المجاورة الانضمام إلى حلف الناتو، وهو ما يعنى فى نظر روسيا تهديدا لأمنها بل اختراق حقيقى للأمن القومى الروسي.

يضاف إلى ذلك أن روسيا لم تغفر بعد لنفسها السماح باختفاء "حلف وارسو" الذى تأسس ليكون ردا دفاعيا على "حلف الناتو" وأنها لا تزال تشعر بالحنين يجرفها باتجاه النفوذ والسيطرة على القرار الدولى الذى كانت شريكا فاعلا فيه وقت الحرب الباردة ثم تقلص هذا النفوذ واختفت لاحقا عندما انهارت منظومة الثنائية القطبية التى سيطرت على النظام الدولى ردحا من الزمن.

بكلمة أخرى أن النظام الدولى الحالى والذى تتبوأ فيه أمريكا- وحدها- المكانة-

الرأس تشعر روسيا بكثير من المهانة فى كنفه ولذلك تحاول بين وقت وآخر أن تقول "لا" على طريقتها مرة باختلاق متاعب سياسية من نوع ما فى هذا البلد أو ذاك ومرة بالاعتراض واستخدام حق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن ومرة بالمجاهرة بمساندة الدول التى تعتبرها أمريكا وأوروبا دولا مارقة... إذن هناك حالة قلق فى النظام الدولى الحالي، وأحسب أن روسيا ستظل مصدرا لهذه القلاقل طالما لم تجد استجابة أو مرونة من الجانب الآخر بكلمة أخيرة أن الجاسوسية المزعومة ليست الا غطاء لخلافات عميقة ومتجذرة بين القوتين العظميين أمريكا وروسيا.

obeikan.com

نحن والآخر وأدبيات الحوار

فى دفاعه عن المجرم قاتل مروة الشربينى فى قاعة محكمة دريسدن فى ألمانيا، قال أحد المحامين: إن المجرم الحقيقى هو وسائل الإعلام! وفى هذا القول ظل من حقيقة لان الإعلام الأوروبى والأمريكى دأب منذ وقوع أحداث١١ سبتمبر عام٢٠٠١ على ربط الإرهاب بالإسلام، وتكريس فكرة أن العرب والمسلمين أناس يتغذون بالدم ويكرهون الآخر، لا لشيء إلا لأنه يختلف عنهم!

وكان طبيعيا أن يتأثر قاتل مروة الشربينى بكل ما يُكتب أو يُذاع أو يُنشر عن المسلمين، فارتبط فى ذهنه، نتيجة لذلك، أن أى سيدة ترتدى حجابا فهى بالضرورة إرهابية وكذلك أى رجل يطلق لحيته ويكون اسمه محمدًا أو محمودًا أو مصطفى أو الأسماء الأخرى ذات الدلالات الإسلامية فهو بالضرورة إرهابي..

ومعلوم أننى لست فى معرض الدفاع عن المجرم الألمانى الذى استحق عقابه وهو السجن مدى الحياة - وهى أقصى عقوبة فى القانون الألمانى الذى ألغيت فيه عقوبة الإعدام مثل باقى الدول فى أوروبا - وقد يكون(العكس تماما) هو ما أريد قوله.. بمعنى أن الإعلام الألماني(والأوروبي) قد وفر المناخ الملائم لظهور عشرات بل مئات من المجرمين(القتلة) الذين يكرهون العرب والمسلمين لمجرد أنهم يدينون بالدين الإسلامي، ومن ثم على(القتلة) أن ينالوا عقابهم، كحال قاتل مروة الشربيني، لكن علينا ألا نغفل المجرم الحقيقى - أقصد وسائل الإعلام مرئية ومسموعة ومكتوبة - باعتبارها والحالة هذه - مدرسة لتفريخ المجرمين من كل لون وجنس!

والحق ان استئساد وسائل الإعلام الغربية علينا يرجع إلى عدة أسباب، منها العنصرية والتحيز ضدنا، وسيطرة اللوبى اليهودى على معظمها.. لكن الأهم - فى اعتقادى - هو ضعفنا وعجزنا عن مواجهة المزاعم والأكاذيب التى تملأ السماوات الإعلامية فى بلاد الغرب حول الإسلام والمسلمين بشكل عام.. وحتى فى حال حدوث اشتباك مع الآخر حول قضية من القضايا التى تحتاج إلى رد أو توضيح نجد أنفسنا الخاسرين! والمثال الصارخ على ذلك هو أزمة الرسوم الدانمركية التى اشتعلت نيرانها لبعض الوقت وهاج المسلمون وماجوا فى أقاصى الدنيا وأدناها ثم أصبحت النيران رمادا، ولم يحدث شيء اللهم إلا تكريس لسوء الفهم القائم بيننا وبين الغرب، ومما يؤسف له أن هذا المنهج فى التعامل مع الأحداث والوقائع أصبح(لصيقا) بنا برغم أنه يوردنا موارد التهلكة..

.. وأقصد بالمنهج هنا، ذلك الأسلوب الذى اعتدنا عليه وهو الصراخ والضجيج وإشعال الحرائق داخل وسائل إعلامنا.. وغاب عن بالنا أن أحدا (سوانا) لم يسمع هذا الضجيج، أى أننا قمنا بعمل(مونولوج) أقصد حوار ذاتى مع أنفسنا لم يشعر به أحد من هؤلاء الذين أساؤوا الظن فينا وأغضبونا! وهذا - فى اعتقادى - هو سر الخسران المبين الذى يلازم معاركنا سواء تلك التى تُفرض علينا أو التى ندخلها بإرادتنا..

ففى أزمة الرسوم الدانمركية ملأنا صحفنا مقالات واتهامات وربما رد بعضنا موضحين أن الإسلام بريء من كل هذه الترهات التى تقال عنه.. وأسرفنا فى قول نعرفه نحن جميعا - لكن لا يعرفه الآخرون - وهو أن الإسلام دين ينبذ العنف ويحث على قبول الآخر أيا كان لونه أو جنسه أو دينه، ويدعو للتعايش بين الشعوب فى محبة ووئام.. لكن لأن ما كتبناه كان باللغة العربية فلم يشعر به أحد، وكذلك كان الحال فى فضائياتنا وإذاعاتنا التى ظلت(تصلصل) أسابيع وشهورا وتعزف نفس النغمة بلغة الضاد التى لا يعرفها سوى العرب.. وهذا هو ما قصدته على وجه التحديد من

كلمة(مونولوج).. إذ لا يكف لسانى عن الكلام لكن لم يسمعنى(الآخر) المستهدف أولا وأخيرا بهذا الحديث..

وكان الصواب هو أن نعتمد منهجا مغايرا هو(الديالوج) أى الحوار مع هذا الآخر، سواء كان شخصا أو دولة أو مجموعة من الدول.. وفى حالتنا التى نشير إليها كان ضروريا أن نرد ونوضح وندخل فى سجال لكن عبر الحوار(الديالوج) وليس عبر الحوار الذاتي(أى المونولوج).. ولا ننسى أن الحوار - والحالة هذه - يستند إلى قاعدتين: الأولى أن أتحاور مع الآخر بلغته هو وليس بلغتي.. وأن أكتب فى صحفه هو، إذ لا معنى للكتابة فى صحفى التى لا يقرؤها سوى قومي..

بهذا المعنى أكون قد استوفيت الجانب الأول من الديالوج.. أما الجانب الثانى فهو التخلى عن المشاعر والوجدانيات وبدء الحوار عبر الإقناع والمنطق العقلي.. فهذا الآخر يعيش حضارة تقف فى شموخ أمام العقل والعقلانية، ومن ثم لا مجال للخوض فى أمور عاطفية أو روحانية.. وهو أسلوب لو تذكرنا قليلا لعرفنا أن أربابه كانوا من المسلمين الأوائل، ويبرز هنا اسم فيلسوف العقلانية الشهير ابن رشد الذى لم يتأفف الغرب من التعلم على يديه..

أريد أن أقول إن الخطاب العقلانى هو الركن الأصيل فى هذا الحوار (الديالوج) الذى نبتغيه جسرا للتواصل مع الآخر.

وإنصافا يجب أن نعترف بأننا لا نجيد(ثقافة الديالوج) كما يسمونها فى الغرب، لأننا - من وجهة نظرهم - قد اعتدنا على قبول ما يقال دون مناقشة.. وإذا كان لابد من نقاش فعلى قاعدة الحوار مع الذات همسا! وبقناعة مسبقة مؤداها: ليس بالإمكان أبدع مما كان، ويربط نفر من المستشرقين المتعمقين فى حضارة وتاريخ الشرق(هذا الحال) بالواقع السياسى الذى يتسم فى أحايين كثيرة بالاستبداد وغياب المشاركة والشفافية بين الحاكم والمحكوم.. وأيا كان نصيب هذه الرؤية من الصواب، إلا أن ثقافة الديالوج غائبة فعلا لا قولا حتى بين بعضنا البعض.. فكيف

بنا نطلبها لتكون فلسفة تعامل بيننا وبين الغرب، وأحسب أن مساحات سوء الفهم ستظل قائمة وستتسع دوائرها يوما بعد يوم بسبب حالة المونولوج التى تتقمصنا وكأنها الشيطان المريد.. وبات علينا أن نبادر بتحطيم هذا الواقع والولوج فيه إلى فضاء الحوار دون أن ننسى أنها مهمة صعبة،لأن عتبتها الأولى هو بناء الثقة بين طرفى الحوار والأهم تكريس فكرة(الندية).. فلا حوار إلا بين(أنداد).. وها هو التاريخ لم يحدثنا قط عن حوار بين(سيد) و(عبد).. فالأول يأمر، والثانى يطيع دون مناقشة.. وسوف يساعدنا فى ذلك أن للإسلام فى أوروبا ـ مثلا ـ صورتين: صورة أكاديمية وهى قريبة من واقع الدين الإسلامي.. والصورة الثانية هى إعلامية بامتياز مليئة بالمغالطات. وأحسب أن الحوار الصحيح مع الآخر يبدأ بإبراز الصورة الأولى، وتعتمد على المنهج العلمى فى البحث، ومناقشة الصورة الأخرى المغلوطة أو المدسوسة(لا فرق) خصوصا أنها الأكثر شيوعا لأنها لقمة سائغة لوسائل الإعلام تلوكها فى الفم ليل نهار.. لكن بشرط أن تكون المناقشة عقلانية وبعيدة عن الوجدانيات، واختصارا لابد من الاهتمام بالخطاب الإعلامى وطريقة معالجته لقضايانا دون أن ننسى أن الأفكار لا تحارب بالرصاص وإنما بأفكار أخرى شرط أن تحدث نوعا من الديالكتيك على طريقة الفيلسوف الألمانى هيجل.. يبقى أخيرا أن نعترف بخطأ التناول الإعلامى الذى ينطلق من مبدأ الحوار مع الأنا أو الحوار الذاتى (المونولوج).. ومادام ليس بوسعنا أن نمنع الآخر من الحديث عن قضايانا وعقائدنا وحضارتنا، فلأصوب أن نقيم معه حوارا إيجابيا من قاعدة الديالوج التى يؤمن بها.. وبدون ذلك سنظل أسرى العزلة والانكفاء على الذات والإحساس بالدونية واجترار الأحزان..

تقارير الحالة الدينية: فزاعة أمريكية

لكى نفهم حقيقة تقارير الحالة الدينية (الأمريكية) يجب أن نربطها بالمشاريع الاستعمارية الأمريكية فى العالم وخصوصا فى الشرق الأوسط والمنطقة العربية.. فالثابت أن المشروع الأمريكى فى العراق قد فشل فشلًا ذريعًا وسوف يظل كالندوب الغائرة على وجه أمريكا- فالعراق لم يتحول إلى جنة للديمقراطية كما كانت تدعى واشنطن والعالم لم يصبح أكثر أمنا وأمانا كما روجت أمريكا كذبا، والإرهاب لم تستأصل شأفته فى المنطقة على نحو ما روّج البيت الأبيض..

ولا شك أن عصابة المحافظين الجدد كانت ترى- عيانا جهارًا- نهاية مشوارها- وتعلم أن افتضاح أمرها (وأطماعها) بات سهلًا ميسورًا لأن أكاذيبها ملأت الأرجاء لذلك لجأت إلى أسلوب المساومات بعد أن تأكد لديها أنها- وهى أكبر قوة فى العالم- أعجز من أن تنقذ نفسها من المستنقع الذى وقعت فيه..

فالقاعدة التى كانت تحكم السلوك السياسى الأمريكى طوال سنوات ما قبل حربها على العراق- أو بالأحرى ما قبل فشلها فى العراق- هي: نتشاور مع الحلفاء والدول الصديقة، لكن عند الضرورة نتصرف بمفردنا!

لكن تبدل الحال- ووجدت أمريكا نفسها مضطرة للتنكر لهذه القاعدة- (فالتصرف بمفردها) أصبح عزيزا وصعبًا ولكى تنقذ نفسها من الهزائم التى تلاحقها فى العالم: فى العراق وأفغانستان، وكوريا الشمالية.. عليها أن تمديدها تطلب المساعدة من الآخرين..

فالمباحثات التى تجرى مع بيونج يانج تقوم بها- لحسابها- دول أخرى من بينها الصين واليابان.. والحال يتكرر مع دول أخرى لحفظ ماء وجهها فى أفغانستان..

أما العراق، فكلنا يعلم أن واشنطن تقف على رمال متحركة وصوت الاستغاثة يسمعه القاصى والداني.. ومفاوضاتها مع إيران تجرى بطريقة سرية على الرغم من التصعيد العلنى فى لهجة الخطاب السياسى المتبادل..

وفى هذا الإطار لجأت واشنطن إلى دول أخرى فى المنطقة تطلب أن تقوم بالحرب نيابة عنها..

وعندما رفضت هذه الدول، أُسقط فى يد أمريكا، وكادت تفقد صوابها!

وكلنا يعلم أن البيت الأبيض بذل جهودًا خارقة فى إقناع بعض الدول العربية لكى ترسل قوات إلى العراق من بينها مصر لكن لم تجد أذنا صاغية..

ومع استمرار الهزائم وسقوط عشرات الجنود الأمريكيين (كالذباب) واضطرار الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش إلى الحديث عن الانسحاب الجزئى والمبرمج من العراق، وشعوره- بسبب ذلك- بالمهانة والإذلال.. كان لابد من استخدام فزاعات من نوع ما لتخويف الدول التى تقاعست- من وجهة نظره- عن نجدة أمريكا (وإنقاذها..) والأهم من ذلك، للانتقام لنفسه ولكبرياء الدولة العظمى.. أبرز هذه الفزاعات تقارير الحالة الدينية التى تتحدث عن تمييز دينى وعنصري، ومضايقات للأقليات العرقية والدينية.. وليس كافيًا أن التقرير الآخر قد تناول الأوضاع فى بعض الدول العربية مثل مصر والجزائر..

وأُلصق بهما الاتهامات من كل حدب وصوب، وتجنى على حقائق تفقأ العيون.. لأن الأمريكان- أكثر من غيرهم- يعرفون الإطار المجتمعى الذى يعيش فيه الشعب المصرى (مسلموه ومسيحيوه على السواء..) وكلنا يعلم أن السيد ديفيد ووتش مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية عندما كان سفيرا لبلاده فى القاهرة، كان يمشى فى الشوارع ويجلس على المقاهى ويخالط الناس.. وسار خلفه (السفير التالي)

على نفس الطريق.. وهذا يعنى أنهم يلمسون قوة ومتانة النسيج الاجتماعى المصرى.. وكان حريًا بهم عندما يكتبون تقاريرهم أن يتحروا الدقة، لكن هيهات.. والتزييف، وتشويه الحقائق ديدنهم! أريد أن أقول إن تقرير الحالة الدينية لم يصدر لوجه الله والوطن، وإنما صدر محشوًا بالمغالطات والافتراءات نكاية فى مصر التى رفضت المساومات خصوصًا إذا تعلق الأمر بمواقفها العروبية الثابتة.. سيّما وأنها أعلنت أكثر من مرة وفى غير مناسبة أنها ترفض احتلال العراق، وتطالب بوضع أجندة انسحاب وتستهجن- فى الوقت ذاته- أية محاولة لتقسيم هذا البلد العربى الشقيق أو زرع الفتن بين أعراقه وطوائفه المختلفة..

وليس خافيًا أن موقف كهذا- لا يسعد له الأمريكيون خصوصًا أن دولًا كثيرة قد تبنت الموقف المصرى حتى كاد يكون موقفا عربيا خالصًا..

واللافت للنظر أن تقارير الحالة الدينية التى تصدرها الخارجية الأمريكية وتكيل فيها الاتهامات لمصر (ظلما وعدوانا) قد أتت بها لا تشتهى سفن أمريكا.. فكلنا يعلم أن الهدف من وراء هذه التقارير هو إغضاب المصريين من النظام والحكومة، وإثارة قلاقل اجتماعية، الإيعاز بأن أمريكا سوف تدعم الأصوات الغاضبة فى مصر..

لكن غاب عن بال البيت الأبيض أن المصريين لا يثقون فى أمريكا صاحبة المشاريع الاستعمارية التى تبغى الهيمنة واستنزاف موارد الشعوب..

وتحقق عكس ما تريده واشنطن فكلما ظهر خلاف بين أمريكا ومصر، كلما ازدادت ثقة الشعب فى الحكومة.. ولعل هذا هو ما دفعنى إلى القول بأن تقارير الحالة الدينية ليست أكثر من فزاعات أمريكية ولكن من ورق!

فالشعب المصرى أكثر ذكاءً ووعيًا مما تتصوره أمريكا.. ولا يمكن أن تقرر به دعاية أمريكية مغرضة وكاذبة.. وهو يعلم أن العلاقات المصرية- الأمريكية متعددة، ومتشعبة وتشتمل على تفاصيل كثيرة، لكن هناك مساحات كبيرة للاختلاف- فمصر لا تقبل اذعانا أو مساومة مهما كانت الإجراءات..

ولذلك فرصيد أى خلاف أمريكى مصرى يصب مباشرة لصالح الحكم فى مصر، إذ لا يعقل أن أمريكا التى تعتبر نفسها (الأمة الضرورة) وسيدة العالم (رغم أنف العالم..) وتحركها الأطماع فى السيطرة والهيمنة. تتحول بين عشية وضحاها إلى ناصح أمين يقطر قلبه حزنًا على الحالة الدينية فى مصر..

باختصار: تقارير الحالة الدينية التى تصدرها أمريكا هى واحدة من أدوات السياسة الخارجية تستخدمها (فزاعه) لتخويف الدول التى لا تقبل مساوماتها أو ترضخ لتهديداتها.. ولذلك فهى تقارير مغرضة لا تتوفر فيها عناصر النزاهة والموضوعية.. وقصارى أمرها أنها تقارير ورقية فارغة من المعنى..

obeikan.com

القرن الـ"٢١".. هل يكون أمريكيا؟

ثمة قناعة لدى شريحة - لا يستهان بها - من المحللين السياسيين والاستراتيجيين فى العالم مؤداها أن الهيمنة الأمريكية باقية ومستمرة فى القرن الجديد القرن الحادى والعشرين ليس فقط لأنه لا توجد قوة متكافئة معها يمكن أن تنازعها موقعها القيادى فى العالم الآن، ولكن أيضا لأن غياب هذه القوة المتكافئة سيظل مؤكدا طوال العشرين أو ربما الثلاثين عاما المقبلة.

وعلى الرغم من أن مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى(واحدة ووحيدة) فى العالم اليوم تثير شعورا بالرفض أو الململة فى دوائر كثيرة بالعالم، فالثابت أن تفوق أمريكا(الذى لا يحده حد) قد كشفت عنه أحداث كثيرة فى كوريا الجنوبية، والخليج، والبوسنة،(حتى فى كوسوفا أخيرا) كل ذلك يبرهن على أنه لا وجود لقوة أخرى فى العالم مناوئة لقوة الولايات المتحدة باعتبار أن القوة تبقى العنصر الحاسم فى النظام الدولى لأنها الأساس والجوهر فى تأكيد الاستقرار. وأيا كان الأمر فالمؤكد أنه لا يوجد - فى التصور الحالى أى منافس قوى لأمريكا قادر على الوقوف فى وجه تفوقها والاحتمال الأضعف هو أن تصبح أوروبا هذا المنافس، لكن ليس قبل ٢٥ عاما وبشروط صعبة.

وإذا خطر ببال احد أن روسيا يمكن أن تقوم بهذا الدور فالمحقق أنها فى حال تجاوزها أزماتها الحالية - ستصبح على الأكثر مجرد قوة إقليمية!.. وللوصول إلى هذه المكانة المتواضعة - عليها أن تقوم بتحديث آلياتها وكوادرها وأن تقدم لنفسها صورة الدولة المستقرة ضمن جوقة الأمم الأوروبية المتقدمة!

أما الصين التى يُلوح بها كبديل مناوئ للقوة الأمريكية فقد يصبح قوة إقليمية متفوقة - على أقصى تقدير - بمعنى أنها لن تصل إلى موقع القوة العالمية.

وإن كان على الولايات المتحدة أن تقبل فكرة صعود الصين فى شرق القارة الأوروآسيوية، فإن ذلك لا يعنى على الإطلاق أنها سوف تصبح قوة عالمية بعد عدة سنوات، لأن ذلك مرهون بنجاحها فى انطلاقتها الاقتصادية.

وإذا كان هناك من يعتقد أن الصين فى حال نجاحها فى تجاوز تناقضاتها بين حركة تحرير اقتصادها وبين حفظ استبدالها السياسي، فالمؤكد أنها لن تصبح فى نهاية المطاف أكثر من قوة إقليمية رئيسية فقط - تعمل الولايات المتحدة لها ألف حساب من منظور أن ثمة مصلحة مشتركة بين البلدين(أمريكا والصين) فى حفظ الاستقرار الإقليمى فى الشرق الأوسط والمواقع الحساسة مثل تايوان ومنطقة الجنوب الشرقى من آسيا. بعبارة أخرى - على الولايات المتحدة أن تجعل الصين مستعدة لفهم أن أية تدخلات عسكرية تمس المصالح الأمريكية لن تكون فى مصلحتها أيضا.

أيا كان الأمر، فالثابت كذلك، أنه لا مصلحة للولايات المتحدة فى أن تلعب الصين دورا إقليميا مستقلا والشيء نفسه يمكن أن يقال عن اليابان.. صحيح أنها الصديق(أو الحليف) الأكثر تأثيرا للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، لكن هذا لا يفرض أنها ستكون - والحال هذه - حليفها العسكرى الأساسى فاليابانيون لا يرغبون فى السير فى هذا الاتجاه خشية أن يعقد ذلك علاقاتهم بالصين فضلا عن سبب جوهرى آخر هو أن ثمة فروقا فاصلة بين تجربة اليابان(وتجربة ألمانيا) فى هذا الشأن فاليابان.. - مثلا - لم تعرف كيفية الاندماج فى بيئتها الإقليمية وطمأنة جيرانها - بينما عرفت ألمانيا ذلك وأجادته فى أوروبا.. إضافة إلى أنه لا يوجد فى آسيا مكافئ للمحور الفرنسى - الألماني... ان اليابان قد تصبح عاملا مؤثرا فى العالم لكنها لن تلعب دور الهيمنة الإقليمية التى تحد بشكل أو بآخر من المد الأمريكى الطاعن فى المنطقة الآسيوية والعالم. وإذا وضعنا فى الاعتبار صعوبة تعديل مجلس الأمن ليشمل بين أعضائه الدائمين أمريكا وأوروبا وروسيا والصين واليابان والهند (أو مصر)

ليعكس بذلك خريطة القوى والنفوذ العالمية اليوم وغدا، فالمؤكد أنه لن يوجد بديل فى المدى القصير للتفوق الأمريكى غير الفوضى العالمية التى ستحل حتما بالعالم إذا ما توقفت الولايات المتحدة عن لعب دور المهيمن.

لكن - وبالمقابل - ثمة من يعتقد أن منطق الحراك السياسى الدولى لن يقبل باستمرار الهيمنة الأمريكية(قدرا محتوما) على الشعوب فى القرن الجديد.. وحيثيات هذا الاعتقاد كثيرة ومنها:

أنه ليس دقيقا القول إن البديل الوحيد للهيمنة الأمريكية فى النظام الدولى الراهن هو الفوضى العالمية فالثابت أن التاريخ لا يعرف التراجع، ومثلما ظهر مصطلح القوتين العظميين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) لأول مرة فى عام١٩٤١ ثم امتد كمرحلة فى العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى سقوط حائط برلين فإن مصطلح الأحادية القطبية) والذى تكدس بعد أن تهاوت الشيوعية فى أوروبا وسقط الاتحاد السوفيتى نفسه، قد آن أوان انكماشه.

صحيح أن الأمر قد يحتاج إلى فترات زمنية قد تصل إلى عشرين وثلاثين عاما لكى تظهر قوى مناوئة للنفوذ الأمريكى فى العالم مثل أوروبا العظمى التى يعتقد الإستراتيجيون أنها قد تظهر عملاقا فى أقل من خمسة وعشرين عاما - إلا أن القرن الحادى والعشرين سوف يشهد انكماش الهيمنة الأمريكية لحساب ظهور قوى إقليمية ودولية جديدة.

ناهيك عن أن الصين - على سبيل المثال - تعطى انطباعا بأنها(العملاق) الذى عاد يبحث عن ماضيه، وهاهو يستكمل أدوات عملقته مجددا - ومن المتوقع للصين أن تكون فى قلب قضايا وأحداث العالم فى القرن الحادى والعشرين، وطموحها يتجاوز حدود القوة الأولى فى آسيا، ويذكر تاريخها أنها لم تنس الألم - أو ربما الإهانة - التى كانت لحقت بها منذ لقائها بالغرب فى القرن الماضي.

ولا ريب أن الصين تعرف أن طموحاتها تقلق عددا من دول العالم فى جنوب

وشرق آسيا إلى جانب اليابان وأمريكا وباقى الدول الصناعية الكبرى، لكنها تواصل المسيرة وتهدد بتقليص الهيمنة الأمريكية فى منطقة شرق آسيا..

أما أوروبا العظمى فتسعى بدورها لاستعادة نفوذها المفقود فى وجه الأمريكان لتكون أحد أكبر القوى المؤثرة فى العالم ولذلك التفتت إلى تفعيل(اتحاد غرب أوروبا) الذى ظل حبرا على ورق لأكثر من أربعة عقود أما أقصى أمانيها فهى أن تنجح فى صنع سياسة خارجية وأمنية أوروبية موحدة وتجديد ملامح شخصية دفاعية لأوروبا(ولقد دخلت هذه الأمنية حيز التنفيذ بالواقع الجديد الذى يشغله خافيير سولانا حاليا كمندوب سامٍ أوروبى أو وزير بوزراء دفاع وخارجية أوروبا).

ويدرك قادة أوروبا أن حلم القوة الأعظم الأوروبية التى ستكون والحالة هذه ـ مناوئة للهيمنة الأمريكية عن جدارة واستحقاق، لن يتحقق بدون الحديث العسكرى وتثبيت البعض بعبارة أخرى ـ بغير هذين الأساسين لن تعود أوروبا للأوروبيين.

أما روسيا التى تمر بمرحلة ـ متاعب ـ وتحاول إعادة كتابة تاريخها ويسودها إحساس مر بتراجع دورها فهى لا تخفى رغبتها فى الحقيقة فى إعادة الإمساك بمنطقة تأثيرها التقليدية، ولذلك تنشغل فى البحث عن قيم وتوازنات جديدة وضرورية ولكن ولادة(روسيا جديدة) هو أمر لا يعتمد إلا على روسيا ذاتها، ولا أحد يعرف على وجه الدقة متى يحدث ذلك، ولا من هو الشخص الذى ستناط به مثل هذه المهمة الكبيرة ثم تأتى اليابان لتبشر بأنها ستصبح(البوتقة الإستراتيجية) للعالم فى القرن الحادى والعشرين ويطوى طموحها الآفاق آملة أن يتم قبولها عضوا جديدا فى مجلس الأمن. والحق أن حركة التحديث قد شملت جميع القطاعات بها منذ سنوات، وأصبح تقدمها الصناعى وضرب الأمثال والجسر الذى يمر بها من نصر إلى نصر منذ عام١٩٤٥ وحتى اليوم ورغم سنوات الأزمة التى مرت بها من

عام١٩٩١ إلى١٩٩٦، إلا أن صادرات اليابان ارتفعت إلى أكثر من٣٠٪ وانتقلت من٣١٥ مليار دولار٤١١ مليارا كما نجحت فى استحداث نحو٤ ملايين وظيفة.

صحيح أن التحالف من أجل القرن الحادى والعشرين الذى كانت وقعته اليابان مع أمريكا جعلها نقطة المساندة الرئيسية للسياسة الأمريكية فى آسيا والباسفيك فى مواجهة الصين، إلا أن الطموح اليابانى لا يزال متأججا ـ ولا يحده حد.

بكلمة أخرى: إن اليابان(إمبراطورية الشمس) قد خرجت من القمقم وهى من أكثر القوى المرشحة لكى تهز عرش(الأمركة) فى العالم.

وأخيرا تظهر الهند كما لو كانت إرهاص عملاق استيقظ توه من النوم باحثا لنفسه عن مكان(فوق القمة) سيما أن مقومات الطموح متوافرة لديها. ورغم نموها الديموجرافى المتواصل إلا أنها نجحت فى أن تحقق لنفسها(الكفاية الذاتية) على الخريطة الغذائية بفضل ثورتها الخضراء التى كانت أطلقتها فى الستينيات.

وإلى جانب امتلاكها للسلاح النووى وإرسالها أقمارا صناعية فى الفضاء واتساع جامعاتها(يوجد بها٣٠٠ ألف باحث وتقنى على مستوى عال) بات من حقها أن نتساءل بأعلى صوت عن مكانها ودورها فى عالم الغد.

صحيح فى زمن الحرب الباردة كانت الهند قد لعبت دورا كبيرا على الساحة الدولية(من خلال سياسة عدم الانحياز) يفوق قوتها الاقتصادية والعسكرية لكن اليوم تبدلت الأحوال وأصبحت صحوتها تثير عداوات دول أخرى مثل باكستان والصين.

وفى النهاية يجب الانتباه إلى أن هذه المؤشرات الإستراتيجية التى تشترك فيها هذه القوى الإقليمية(الصين وأوربا وروسيا واليابان والهند) هى التى تجعلنى أكثر ميلا إلى ترجيح القول إن القرن الحادى والعشرين سيكون بالضرورة متعدد الأقطاب متنوع الثقافات.

مكافأة أمريكية لمن يخون بلده: تونى بلير نموذجًا!

منذ الجولات المكوكية لوزير الخارجية الأمريكية الأشهر هنرى كيسنجر فى سبعينيات القرن الماضى والمبعوثون الأمريكيون والأوروبيون يترددون على منطقة الشرق الأوسط، ويطلقون الوعود، ويتحدثون عن سلام (آمن وعادل وشامل) وعودة الاستقرار إلى دول المنطقة..

ورغم ذلك لم يتحقق شيء، فالأوضاع تسير من سيئ إلى أسوأ، والزعامات العربية والدولية تتوالى دون أن يتحرك ساكن..

وباتت منطقة الشرق الأوسط أشبه بنادى صغير يتدرب فيه سياسيو العالم على السفر والترحال، واصطناع التصريحات المطاطة، والحديث عن مباحثات ثنائية، ومتعددة الأطراف ومفاوضات.. إلى آخر هذه المنظومة من الكلمات الجوفاء..

فأوروبا اختارت لعدة سنوات السيد موراتينوس ليكون موفدًا خاصًا للسلام فى منطقة الشرق الأوسط، وأمريكا كلفت أكثر من سياسى أبرزهم المدعو دينيس روس ليشغل نفس الموقع (باسم واشنطن)

والأمم المتحدة نسجت على نفس المنوال وتُكلف بين وقت وآخر مبعوثا شخصيًا باسم الأمين العام للمنظمة الدولية ليحمل برسائل من هنا وهناك إلى حد أن الصين (الراغبة فى أن تكسر عزلتها) عينت شخصًا من أبنائها ليكون مبعوثا خاصًا لها فى المنطقة، وانتقلت العدوى إلى اليابان.. وكأنى بطائرات هؤلاء المبعوثون تتقاطع فى سماء المنطقة وأكاد أراهم يلوحون إلى بعضهم البعض.. كسائقى الحافلات.. ولم لا وهم يحملون نفس الملفات، ويهبطون ذات العواصم ويلتقون بنفس الأشخاص..!!

ورغم ردود الفعل المتباينة التى صاحبت قرار واشنطن بتعيين رئيس الحكومة البريطانية السابق توني بلير موفدا خاصًا لعملية السلام باسم اللجنة الرباعية، والحديث الصحيح عن عدم توافر عناصر الحيدة والنزاهة فى هذا الموفد الجديد، وانحيازه الكامل لإسرائيل، وجرائمه المتواصلة ضد الشعوب فى منطقة المشرق العربي، إلا أننى أرى هذه القضية من منظور آخر.

فالسيد تونى بلير- بما صورته الصحف البريطانية أكثر من مرة، ورسمه الكاريكاتور- هو الصديق (أو الكلب) الوفى لسيده الذى يسكن البيت الأبيض وهو الحليف الأقرب لأمريكا، والذى يسير معصوب العينين وراء السياسة الأمريكية إلى الحد الذى اعتبره المعلقون والمحللون وزيرًا فى الحكومة الأمريكية ومفوضًا بإدارة شؤون المملكة المتحدة (بريطانيا)..

وكلنا يذكر أنه كان أشبه بظل سيده (بوش الابن) يقف معه وحوله ووراءه، ويؤيد دون مناقشة مواقفه.. حدث ذلك فى حرب أمريكا على العراق، وحدث ذلك أيضا فى تأييده لحرب إسرائيل على لبنان فى الصيف الماضي، ونذكر جميعا أنه رفض عن عمد وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب بصورة مبكرة ظنًا منة أنه فى استمرار الحرب سوف تجهز إسرائيل على حزب الله.. وهو ما لم يحدث على كل حال..

أقول: إن السيد تونى بلير ظل طوال مدة رئاسته للحكومة البريطانية كالطود الذى يدافع عن سياسة أمريكا..

وكان طبيعيا أن يفقد رجل كهذا كثيرا من شعبيته داخل بلده وخارجها، ونذكر أن هناك أكثر من مليون بريطانى خرجوا ذات يوم فى شوارع لندن يعلنون احتجاجهم على مشاركة بريطانيا فى الحرب الغادرة على العراق، وينعون تبعية بلير لأمريكا..

أقول إن بلير- من هذا المنطلق- كان قلقًا على مستقبله ويريد أن يظل تحت الأضواء، بل وبعد أن أدمن إطاعة الأوامر الأمريكية يرغب فى أن يظل (فى موقع) يسمح له أن يمارس هذا الإدمان، ويكون أداه طيّعة فى يد واشنطن..

وكأنى بتونى بلير قد أسّر بهذا الهاجس إلى سيده (بوش الابن) الذى أخاله قد ربت على كتفه مطمئنًا ليصدر القرار (سرًا) دون تشاور مع الشركاء بتعيين تونى بلير مبعوثا خاصًا للجنة الرباعية ..

صحيح اعترضت بعض الدول الأوروبية واتهمت أمريكا بأنها تدير اللجنة الرباعية لحسابها. كما تدير الأمم المتحدة وغيرها من التجمعات الإقليمية والدولية واستنكرت دول أخرى أن يفرض القرار عليها فرضا وشككت أطراف أخرى فى جدية هذا اليقين ورأت فيه مكافأة لتونى بلير على قائمة خدماته الطويلة التى قدمها لأمريكا..

ولا شك أن هذه الاعتراضات صحيحة جميعًا فالسيد تونى بلير جزء من المشكلة فى الشرق الأوسط، فكيف يتحول بين عشيه وضحاها إلى أداه للحل وقديما قالوا إن العقول التى تسببت فى حدوث المشكلة. لا يمكن أن تساعد فى إيجاد حلول لها.. والأمر ينطبق بالتمام والكمال على تونى بلير.. لكن ما الحيلة.. وهذه هى إرادة سيدة العالم (أمريكا).

ما يهمنى فى هذا السياق هو أن واشنطن بهذه المكافأة التى قدمتها لخادمها الأمين (تونى بلير) إنما تبعث رسالة إلى كل القادة والرؤساء وأصحاب القرار فى العالم.. معناها: أن كل من يخدم أمريكا، ويؤيد سياساتها، ويتبنى مواقفها.. فلا خوف عليه بعد أن يترك موقعه..

وأرى فى هذه الرسالة الأمريكية دعوة لأولى الأمر فى العالم لكى يخونوا أنفسهم وبلادهم وشعوبهم وحسبهم أن يضعوا نصب أعينهم مصلحة أمريكا فقط.. ليجدوا فى نهاية الخدمة: المكافآت والمناصب والامتيازات والأموال، والنفوذ، والجاه.. هذا هو أخطر ما فى قضية تعيين بلير مبعوثا خاصًا للسلام فى الشرق الأوسط..

لكن للإنصاف يجب أن نذكر أن أمريكا وإن صدقت- هذه المرة- مع تونى بلير، فهى لم تصدق مع خوسيه ماريا أزنار رئيس الحكومة الأسبانية السابق الذى اعترف- ذات مرة بحسب مجلة لوبوان الفرنسية- أنه ساند أمريكا فى حربها ضد العراق لكى تعينه أمريكا أمينا عامًا للأمم المتحدة خلفا بكوفى عنان.. وهو ما لم يحدث فترك فى قلبه (وجعا) وفى فمه (مرارة).

فى كل مرة ألمح فيها قسمات الوجه الأسمر للسيد كوفى أنان (أو أقرأ له تصريحات فى الصحف) أتذكر على الفور العبارة التى أطلقها الفيلسوف الألمانى الثائر فريدريك نيتشه التى يقول فيها: لا تنتظر من العبد أن يربى حرا!!".

فالسيد كوفى أنان الذى كان يجلس على مقعد المنظمة الأممية العالمية (الأمم المتحدة) منذ سنوات، وهذه هى المفارقة. لم يستطع أن ينسى أنه سليل أسرة نشأت وترعرعت فى زمن الاحتلال البريطانى لبلده (غانا).. وكان طبيعيا أن يرث عنها "العبودية" للرجل الأبيض.

كوفى أنان.. لا ننتظر من العبد أن يربى حرا!

وواقع الحال يؤكد ذلك مرارا وتكرارا، فالسيد كوفى كانت ترتعد فرائسه خوفا وفزعا من "أسيادة" ذوى البشرة الشقراء الذين يأمرونه "فينفذ" دون مناقشة، ونسى أنه يتربع على عرش أعلى منظمة دولية فى العالم، فكانت النتيجة أنه حول المنظمة إلى "كرباج" فى يد السيد الأمريكى يلهب به ظهر من يتمرد على القرار الدولى (أقصد القرار الأمريكي). أقول ذلك وفى ذهنى حاليا شيئان، الأول: تصريح السيد كوفى أنان الذى يطالب فيه سوريا بضرورة الانسحاب من لبنان بدعوى أنه لا يمكن أن تجرى الانتخابات التشريعية فى ظل الاحتلال السوري.

والثاني: لجنة التحقيق الدولية التى كان أرسلها السيد كوفي- فى سرية يحسد عليها- بهدف تقصى الحقائق فى حادث اغتيال رفيق الحريري.

وأجدني- كالمحموم- أستحضر فى رأسى وقائع مشابهة صمتت فيها منظمة السيد كوفى (الأمم المتحدة) صمت القبور، وغابت وكأنها لم تكن، فلقد كان انسحاب سوريا من لبنان ضروريا وعاجلا لأنه لا يستقيم وجودها مع الانتخابات فى لبنان، فكيف استقامت الانتخابات العراقية فى ظل وجود الاحتلال الأمريكى الغاشم للعراق؟

وتحضرنى أيضا فى مرارة واقعة أخرى تعكس "حالة الخزي" التى تعيشها الأمم المتحدة فى زمن السيد كوفي، فيذكر العالم أجمع أن الأمم المتحدة كانت قد شكلت لجنة للتحقيق (وتقصى الحقائق) بعد مجزرة جنين فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، وظلت اللجنة (التى كانت تضم ستة أفراد) تنتظر أن تسمح لها إسرائيل بالدخول إلى الأراضى الفلسطينية ومباشرة مهامها، وعندما رفضت إسرائيل ذلك لم يجد السيد

كوفى حرجا فى أن يعلن- فى شجاعة النمور- حل هذه اللجنة، وكأن شيئا لم يكن.. وأصبح ضحايا جنين الفلسطينيون نسيا منسيا، ولم يتحرك ساكن!

وليس يغيب عن بالنا-أيضا- موقف الأمم المتحدة من الأزمة العراقية (غزوا واحتلالا)، ففى البداية رفضت ضرب العراق إلا بقرار من مجلس أمنها، ثم عادت فأقرت ما كانت ترفضه سابقا، ولم يشعر السيد كوفى بالخجل عندما أظهر منظمته فى صورة الدمية التى تتحرك عن بعد تبعا لأهواء السيد الأمريكى "الأبيض" فأصبحت فى حال لا تحسد عليها، فهى من ناحية "مهمشة" فلا معنى لها، ولا تأثير، ثم هى "متورطة" أيضا فى كل الجرائم التى ترتكبها الولايات المتحدة- عيانا جهارا- فى العالم.

وكان للسيد كوفى فضل عظيم أن جعل المنظمة الأممية العالمية أشبه "بالكناس" الذى يُطلب منه أن يكنس القاذورات التى تخلفها الولايات المتحدة فى العالم فيفعل صاغرا.

بكلمة أخرى لقد نفح السيد كوفى بعضا من عبوديته على الأمم المتحدة، فأحالها إلى "عبد" آخر يدور فى فلك أمريكا "سيدة العالم!".

وغاب عن بال هذا الرجل أنه هبط بالمنظمة الدولية إلى أسفل سافلين، وجعلها "أضحوكة أو نكتة" تتندر بها العامة والسابلة فى جميع أنحاء المعمورة.

وبات علينا نحن- فى المنطقة العربية والشرق أوسطية- أن نصدق أن هناك قرارا دوليا وشرعية دولية، وإرادة دولية،وأن ننصاع لهذه الإرادة دون همس أو لمز وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور تنتظرنا.. وما درس صدام حسين "ونظامه" ببعيد عن الأذهان.

ففى الأمس كانت العراق، واليوم سوريا، وغدا إيران.. وهكذ ، وياللهول!! تكر حبات المسبحة الشرق أوسطية تحت إشراف السيد كوفى الذى أصبح- وياللعار- صوتا جهوريا لسيده الأمريكي!

شخصنة العلاقات الدولية!

درجت العادة على وصف العلاقات بين مصر من ناحية وأى دولة أخرى بالعلاقات المتميزة راجعين سبب هذا التميز إلى بأنه العلاقات الشخصية بين رئيسى الدولتين.. بمعنى آخر إن "شخصنه" العلاقات الدولية أمر كان الجميع يسلم به!وأذكر أن هذا الأمر كان ثابتا إلى درجة مُميزّة! فقد كنت فى باريس طويلًا وقرأت فى الإعلام المصرى المكتوب أن العلاقات بين رأس النظام فى مصر كانت حميمة مع ديستان ثم كانت مع ميتران، فشيراك- ثم كنت اندهش عندما كانت الصحافة القومية تتحدث عن العلاقات الحميمة بين رأس النظام السابق والرئيس نيكولا ساركوزي!

وتساءلت أن رأس النظام لو كان يريد أن ينسج علاقات شخصية وأخوية مع رجال السياسة فى فرنسا كان ضروريًا أن يزور هذه الزعامات الفرنسية عندما كانت فى المعارضة.. وقلت فى نفسي: إن هذا لم يحدث قط! وهذا معناه أن الإعلام المصرى المكتوب كان يختلف الأكاذيب. فالعلاقات الأخوية وشخصنه المصالح لم تكن إلا فى الصحافة المصرية أما فى الأوروبية فلم تكن تتحدث عن ذلك مطلقًا!

فبطرس غالى عندما اختارته دول العالم ليكون أمينا عاما للأمم المتحدة.. لم يتحقق ذلك إلا لأن رأس النظام المصرى كان صديقا لرؤساء العالم..!!

والبرادعى الذى حصل على نوبل وقبله أحمد زويل لم يحدث ذلك لا لقيمه فى أعمال الرجلين ولكن من أجل سواد عيون رأس النظام المصري! بل إن مطالبة رأس النظام علاج المواطنين فى الخارج على نفقة الدولة الخاصة.. تحقق ذلك لأن رأس النظام كان يشعر بفقراء دولته! هذه الأكاذيب لا معنى لها فلقد تبين أن "الرجل"

كان مريضا ومشغولًا بذاته ولا أمر بطرس غالى ولا البرادعى وزويل فالتحقيقات التى تجرى مؤخرا أثبتت صحة ذلك.. والحق أن مدير مكتبة ورئيس ديوانه، ورئيس مجلس الشعب والشورى كانوا يحكمون وفقا لدوائر رسموها لأنفسهم.. فحرام مرة أخرى أن "تشخصن" العلاقات الدولية حتى لو كان المجلس العسكرى الأعلى.

obeikan.com

العراق وفيتنام.. ما أشبه الليلة بالبارحة!

كان الأمريكيون- الغزاة- يسخرون فى البداية من الربط بين واقعهم فى العراق، وواقعهم الصعب فى فيتنام، وظلوا لأشهر طويلة يروجون (إشاعة) أن الشعب العراقى سوف يستقبلهم بالزهور والرياحين، وأن غزو العراق لن يكون أكثر من نزهة برية جميلة ورومانسية لجيوشهم الجرارة التى بلغت أكثر من ربع مليون جندي.

وأسرف جورج دبليو بوش على نفسه وظل يمسك- مع رفاقه من المحافظين الجدد- بزمام وسائل الميديا التى تحدثت طويلًا عن تحرير العراق وليس غزو العراق! وتحويل بلاد الرافدين إلى جنة للديمقراطية، كما أسرف فى الحديث عن زوال خطر الإرهاب والأمن والأمان الذى سيغلف أجواء العالم،وظل يروج أكذوبة أن غزوه للعراق سيوفر الأمن والاستقرار للشعب الأمريكي..

اليوم وبعد أن قدم بترايوس- قائد القوات الأمريكية فى العراق تقريره، وناقشة الكونجرس، تبين أن كل ما كان يقال عن الديمقراطية فى العراق ليس أكثر من أضغاث أحلام..

وأن أرض الهلال الخصيب قد تحول- بالفعل- إلى مقبرة للغزاة.. فالجنود الأمريكيون يتساقطون كالذباب برصاص المقاومة العراقية الباسلة..

وبعد أن حرّم دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى السابق أن يجرى لسان أحد بكلمة "انسحاب" أصبح الانسحاب واقعًا وقد جرى- إجبارا- على لسان الرئيس الأمريكى نفسه!!

صحيح أنه قد ساق مبررات (كاذبة) من قبيل ذر الرماد فى العيون، لكن النتيجة

واحدة وهى "انسحاب مخز" لنحو ثلاثين ألف جندى من قوات الاحتلال..

ليس من شك فى أن معارضة الديمقراطيين كانت حاسمة فى الكونجرس- لكن الفصل الأول فى هذا "التطور" فى المواقف يعود إلى رجال العراق البواسل الذين ضحوا- ولا يزالوا- بالغالى والنفيس من أجل استرداد حريتهم وأرضيهم (وما تزخر به من خيرات)

كان بوش ورفاقه يتذرعون- عندما يحمى وطيس المقاومة- بأن صدام وأولاده ورفاقه يقفون وراءها ويدعمونها بالمال والعتاد..

وكان طبيعيا أن تتكشف هذه الأكاذيب التى أدمنتها الإدارة الأمريكية.. فصدام ورجاله أصبحوا تحت التراب.. والباقى بل والخالد هو الشعب العراقى الذى لا يرضى الذل أو المهانة..

أنه درس بليغ من شعبنا العربى العراقى فى المشرق تستوعبه بوطنية وحماس كل الأجيال العربية من المحيط إلى الخليج..

فالمؤكد أن أمريكا تمر بواحدة من انتكاساتها الصعبة والمريرة، فإرادة الشعب العراقي- وحدها- هى التى هزمتها، وذابت الأكاذيب والدعاوى الأمريكية كما يذوب الملح فى الماء..

لقد تعمد الرئيس الأمريكى أن يذكر فى كلمته للأمة أن الوجود العسكرى سيظل مستمرًا فى العراق حتى بعد تركه مقعده فى البيت الأبيض.. وهذا أمر لا يعقله إلا مجنون، لأن القادمين الجدد- هم على الأرجح- "الديمقراطيون" الذين يعتبرون غزو العراق انتحارًا ويطالبون بانسحاب الجيوش ووضع أجندة محددة لتفاصيل الانسحاب فى أقرب وقت ممكن..

أريد أن أقول أن حديث بوش الابن عن بقايا العسكر الأمريكان فى العراق لا يمكن فهمه إلا على طريقة إنقاذ ماء الوجه.. أو على طريقة من يتحدث إلى ذاته وليس إلى شعب ذكي، ورأى عام أكثر وعيًا فكلنا يذكر أن ٧٠ مدينة كبرى فى العالم

قد شهدت فى الأعوام الماضية مظاهرات مليونية تندد بالحرب على العراق وتتهم أمريكا بالمروق والجنون.. وظن البعض أن مثل هذه المظاهرات لن تؤتى أكلها.. ولكنى أقول إن إعلان بوش الابن (بنفسه) عن قبوله فكرة الانسحاب الجزئى هى واحدة من نتائج هذا الرفض العالمى لمغامراته ومقامراته فى العراق..

المحقق أن إدارة بوش الابن تكتب بأصابعها واحدة من صفحات الخزى الأمريكي، تحت وقع الضربات الموجعة التى تأتيها من رجالات العراق الوطنيين الذين يرفضون الاحتلال، ويرفضون أشباه العراقيين الذين جاؤوا مع دبابات الاحتلال، فلقى نفر منهم نصيبه من الازدراء، والتهميش.. ليلحق به الباقون من الخونة الذين باعوا العراق إلى شركات النفط العالمية على حد تعبير أحدهم وهو أحمد الجلبى!!

العجيب والغريب أن إعلان بوش الابن موافقته على تقرير بترايوس هو هزيمة بكل المقاييس العسكرية والميدانية، لكن البيت الأبيض يصر على تصوير الأمر وكأنه انتصار لسياسته فى العراق..

فهذا البلد العربى الشقيق لم يصبح أكثر أمانا، والحرب الأهلية قد ضربت فى أطناب المجتمع العراقى وتعمق التمييز الطائفى إلى حدود غائرة فى جسد العراق. وكان من تجلياته أسوار عازلة بين الشيعة والسنة شبيهه بالسور العازل فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.. ولا يكاد يمر يوم دون اراقه دماء عشرات المدنيين الأبرياء..

والتهمة الكاذبة تتجه إلى ما يسمى بتنظيم القاعدة فى العراق.. مع أن الجميع يعرف أن الأسلحة المستخدمة هى أسلحة أمريكية وزعها الجيش الأمريكى على شيوخ القبائل.. ولا ننس أن قيادة الجيش أعلنت أن نحو ربع عتادها قد ضاع فى العراق!

وهى فرية أخرى تضاف إلى فريات كثيرة ملأت أمريكا بها العقل العربي..

ولأن إعلامنا- إعلام تابع- يقتات على ما تجود به آلات الكذب الكبرى

(وأقصد بها وكالات الأنباء العالمية) فتجده ينشر دون نقد أو تروى أو تمحيص ولذلك ليس غريبا أن تجد بعض وسائل الإعلام فى مصر والعالم العربى لا تختلف فى خطابها السياسى عن وسائل الميديا الأمريكية.. فالكل يتحدث اليوم عن نجاحات أمريكا فى العراق، مع أن المتابع العادى لمجريات الأمور يعلم جيدا أن ما يجرى فى مدن العراق هو مشاهد مختلفة لهزائم أمريكية.. وكان الأولى أن نفضح هذا الواقع الصعب الذى تعيشه السياسة الأمريكية فى العراق والمنطقة ولا نبتلع الطعم ونسير وراء طنطات إعلامية أمريكية لا هدف لها سوى تزييف الحقائق وإلباس الهزائم ثوب الانتصارات!

كان بوش وأعوانه يعتقدون أنهم جاؤوا إلى العراق لكى يبقوا، ولذلك لم يخجل الرئيس العراقى وقتها طالبانى عندما تحدث فى واحدة من زياراته إلى أمريكا عن رغبته فى أن تبقى فى العراق إلى أبد الآبدين ثلاث قواعد عسكرية كبرى من طراز قاعدة العيديد فى قطر.. كما تحدث المالكى رئيس الوزراء وقتها عن هلعه وفزعه.. إذا فكرت أمريكا فى الانسحاب، ولم تخجل حكومته أن تطلب رسميًا بقاء جيوش الاحتلال..

ورغما عن إرادة الجميع: أمريكا وطالبانى والمالكي.. فلقد قررت المقاومة العراقية الوطنية أن تبدأ الجيوش فى الانسحاب وهو ما حدث بالفعل.. شاهدنا هذا بأنفسنا....

لماذا ترفض أمريكا عقد مؤتمر دولى للإرهاب؟

بحثت فى رأسى طويلًا عن سبب معقول يجعل أمريكا لا تستجيب لدعوة مصر - التى أطلقتها ولا تزال منذ سنوات - لعقد مؤتمر دولى للإرهاب.

ولقد ازداد عجبى من موقف أمريكا لأنها - كما تزعم - مستهدفة إرهابيا، وتقود العالم ضمن إستراتيجية تقول فيها من ليس معنا فهو - بالضرورة - مع الإرهابيين!

ومطلب مصر - الذى تؤيده دول كثيرة - هو أن يتم - فى هذا المؤتمر الدولى المأمول - تحديد دقيق للإرهاب يتم بمقتضاه وضع "معايير" نقيس عليها الدولة الإرهابية والدولة غير الإرهابية.

"اللامبالاة الأمريكية" تجاه هذا المطلب تثير الانتباه وتدعو إلى التأمل خصوصا أن أمريكا تحث بعض الدول على عقد مؤتمرات (قُطرية) أو محلية تتمخض بالضرورة عن نتيجة مؤداها إقامة مراصد لمكافحة الإرهاب تكون مهمتها حصر الجماعات الإرهابية.. وعمل قوائم بأسماء المشتبه فى قيامهم بأعمال عنف وارتكاب جرائم.

وليس بوسع أحد إنكار أهمية هذه المراصد خصوصا بعدما تبين - بالدليل القاطع - أن الإرهاب لا وطن له، وهو "آفة" تعانى منها نظم وشعوب العالم، وليس حكرا على بلد أو دين أو عرق.. ولئن كان ضرب - فى وقت ما - دولا عربية وإسلامية، فهو ضرب - فى الوقت نفسه - دولا أوروبية وغربية، بل إن أمريكا - التى ترى نفسها سيدة العالم - لم تسلم من شرور الإرهاب.

وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لا تزال شاخصة فى الأذهان.. ورغم ذلك فإن السؤال الذى يؤرقنى هو التالي:

* لماذا تصر أمريكا على رفض فكرة عقد مؤتمر دولى للإرهاب؟

يجيب عن السؤال المفكر الأمريكى لمعروف ناعوم تشوميسكى فيقول:

فإننا لو طبقنا المعايير الموضوعية التى نقيس بها الإرهاب على الدولة الأمريكية فستكون (هي) أكبر دولة إرهابية فى العالم!

ولأن الإدارة فى واشنطن تعرف ذلك جيدا، فهى تتعمد إهمال دعوة مصر المشار إليها، ودعوات أخرى مماثلة وتفضل عليها فكرة عقد مؤتمرات صغيرة داخل كل دولة على حدة.. يكون لها- بالضرورة- من حصادها النهائى نصيب.

مفكر فرنسى آخر يدعى بونيفاسى يرى أن أمريكا كانت طوال ربع القرن الأخير من القرن الماضى (القرن العشرين) حاضنة الإرهاب والإرهابيين.. فمن منا لا يعلم أن أسامة بن لادن نشأ وترعرع (إرهابيا) داخل أروقة جهاز الـ C.I.A الأمريكي، أما تنظيم القاعدة، فقد تمت هيكلته وتوزيع أدواره وتحديد مهامه عبر خبراء أمريكيين من طراز رفيع.

وبعد أن انتهت مهمته كان طبيعيا أن تلقى به الإدارة الأمريكية من النافذة! فانقلب السحر على الساحر واحتدم العداء بين (الحاضنة) الأمريكية وابنها (المدلل بن لادن) وكان علينا أن نصدق أن (القاعدة) هى التى خططت ونفذت أحداث ١١ سبتمبر.

أيا كان الأمر فالثابت أن هذه الأحد ث تستخدمها واشنطن (فزاعة) تخيق بها من تشاء وتعتبر نفسها دولة (جريحة) أصابها الإرهاب فى مقتل، وسحق أكثر من ثلاثة آلاف شخص من أبنائها فى هجومه على البرجين الشهيرين.. وبالتالى فمن حقها- هكذا ترى- أن تعلن الحرب على من تشاء وقتما تشاء بمقتضى نظرية الحرب الاستباقية التى اخترعتها عقب انهيار البرجين.

الغريب أن الإدارة الأمريكية أعطت لنفسها الحق فى الانتقام ممن تريد وقسمت العالم إلى فسطاطين، لفسطاطها الغلبة دون منازع أما الآخر فله وعليه اللعنة!

وبات مألوفا أن نسمع عن سجون سرية تنشئها أمريكا فى بقاع الدنيا (القاصى منها والداني) فيذكر تقرير أن القوات الأمريكية أقامت شبكة عالمية من السجون تضم ١٤ ألف معتقل منذ بداية الحرب على الإرهاب فى أفغانستان من بينهم ١٣ ألف معتقل فى العراق وحدها.

وإذا استدعينا إلى الذاكرة الجرائم التى ارتكبتها أمريكا فى سجن أبو غريب، ثم معتقل جوانتانامو، والفظائع التى شاهدها الناس عبر شاشات التليفزيون.. لتبين لنا أن العالم يعيش فى (غابة).. يتربع على عرشها الأسد الأمريكي.

وليس من شك فى أن أمريكا كرست هيمنتها على العالم، بالإرهاب، وكانت قد فشلت مرارا وتكرارا فى الوصول إلى هذه الغاية التى كانت تريدها منذ زمن..

فأوروبا كانت تتمرد بين وقت وآخر فى قيادة أمريكا للعالم، وتنسى أنها تحررت من طاعون النازية، وطاعون الشيوعية بمساعدة أمريكية.

فقط عبر إستراتيجية مكافحة الإرهاب عادت أوروبا وسلمت القيادة لأمريكا.

وحدث شيء قريب من هذا من جانب بقية دول العالم فأمريكا هى صاحبة الصوت الأعلى، وكل النظم تسعى إلى كسب ودها وإن كان ذلك لا يتحقق إلا من خلال الاصطفاف وراءها لمواجهة الإرهاب، فلا معنى للتقاعس كسبا "للجزرة الأمريكية" وخوفا من بطش "العصا"

أريد أن أقول فى النهاية إن اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب هو أمر طائش ولا معقول.. لأن الإسلام هو الذى ينادى بالوئام والسلام وقبول الآخر، أما أمريكا فهى التى ترى صدام الثقافات وتضاد الحضارات.. بل وتذهب إلى أقصى الطريق فتسد بنظرية نهاية التاريخ كافة الطرق.وكأنه ليس فى الإمكان أبدع مما تفتق عنه العقل الأمريكى مع أن الصغير قبل الكبير يعلم أن الحضارة الإنسانية هى محصلة

جهود بشرية متواصلة ولا فضل لجنس على آخر.. فالكل سواء.

- باختصار.. لقد حققت أمريكا (بالإرهاب) ما عجزت عن تحقيقه بالحروب والدبلوماسية..وهو ما يعنى أولا وأخيرا أن الإرهاب صناعة أمريكية بامتياز!

obeikan.com

معنى الغضب الأمريكي؟

يخطئ من يعتقد أن الأزمة التى يتحدث عنها البعض بين أمريكا وإسرائيل هى أزمة جادة.. صحيح أن أمريكا غاضبة ليس لأن إسرائيل رفضت الأخذ بوجهة نظر الرئيس أوباما الخاصة بوقف الاستيطان وإنما لأن إسرائيل تحدثت عن بناء ١٦٠٠ مستوطنة فى أثناء زيارة نائب الرئيس الأمريكى السيد بايدن!

بكلمة أخرى لقد انزعجت أمريكا لأنها شعرت بأن إسرائيل لا تعرها الاهتمام الواجب.. وربما قد تسببت فى إحراجها ونالت من هيبة الدولة الكبرى.. لكن الدولة التى ملأت الدنيا ضجيجا بعد مجيء أوباما رئيسا وتحدثت عن أنها قادرة على حل مشكلة الشرق الأوسط.. وارتفعت بالشعوب فى المنطقة إلى أعلى عليين ثم تبين أن إسرائيل قد ضربت عرض الحائط بكلام و(وعود) أوباما..

المدهش والمؤلم فى الوقت نفسه أن كثيرين فى المنطقة العربية يراهنون على الأزمة الأمريكية- الإسرائيلية.. وفى اعتقادهم أن أى خلاف بين واشنطن وتل أبيب يصب بالضرورة فى مصلحة العرب.. هى الفكرة نفسها التى تحكم رؤية المنطقة العربية بشأن أوروبا فترى حكومات هذه المنطقة أن على أوروبا أن تختار بين العرب وإسرائيل.. وغاب عن بالهم أن أوروبا لا يمكن أن تتخلى عن الدولة العبرية تحت أى ظرف.. فهى التى خلقت هذه الدولة (من عدم) ووقفت مع وعد بلفور.. ودعمت إسرائيل دعما لا محدودا عبر تعويضها عن أزمة الهولوكست.. وتتحدث دوائرها عن أن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى تربطها صلات إستراتيجية معها، وهى الحليف الوحيد فى الشرق الأوسط لأوروبا.. ولذلك فكل من يعتقد أن الخلاف أو الخصام بين أوروبا وإسرائيل يصب فى مصلحة العرب فهو خاطئ..

والشيء نفسه بالنسبة لأمريكا لأن هيلارى كلينتون وزير الخارجية أكدت فى الحديث عن أن أمن إسرائيل هو جزء من أمن أمريكا والعالم..

بعد ذلك، نجد غريبا كل من يتحدث عن أزمات بين إسرائيل وأوروبا أو أمريكا.. ولابد أن نعترف بأن غضبة أمريكا الحالية من إسرائيل ليست انتصارا للعرب ولقضيتهم.. وليست من أجل سواد عيون الفلسطينيين، وإنما هى سحابة صيف كما يقول نيتانياهو، الذى قلل كثيرا من هذه الأزمة فى اجتماعه الوزارى الأسبوعي..

أود صادقا أن نرى السياسة الإقليمية والدولية بميزانها الصحيح وهو ميزان المصلحة وأن نكف عن النظر إلى الأزمات من منظور عاطفى وجدانى لا معنى له فى دنيا التشابكات الدولية.. متى سنتعلم من دروس التاريخ.. يبدو أن شيئا من ذلك لن يحدث!!

openkan.com